ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

الحركة الوطنية في فاس على عهد الحماية
من خلال جريدة La Volonté Du Peuple

عبد السلام انويكَّة
أستاذ باحث في التاريخ المعاصر
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين
تازة – المملكة المغربية

مُلَخّصْ

شكل العمل الصحفي المكتوب باللغتين العربية والفرنسية على عهد الحماية، رغم ما كان محاطًا به من رقابة وتتبع وشروط قانونية مضايقة، في فترة طغى عليها الهاجس الأمني السياسي والعسكري. مرآة عاكسة لمختلف المتغيرات والأحداث، فكان برصد دقيق أحيانًا كثيرة لليومي من الوقائع والتطورات. وإذا كانت صحافة السلطات الفرنسية بالمغرب قد انخرطت في الدعاية السياسية، لإنجاح مشروعها الاستعماري والحفاظ على الوضع القائم من أجل تحقيق استغلال اقتصادي للبلاد وفق ما كان مخططًا له. فإن الصحافة المغربية رغم محدودية منابرها، بسبب ما فرضته الإقامة العامة من قيود قانونية وإدارية وسياسية. شكلت أداة عمل لدى النخبة المغربية المثقفة لإبراز مواقفها وردود فعلها تجاه الحماية، ولكيفية تدبير إدارتها للأمور بالمغرب. وقد ارتبطت معظم تجارب العمل الصحفي المكتوب خلال مرحلة الحماية بنشأة الأحزاب السياسية ونشاطها، ومن هنا أهمية ما ارتبط بها من اختيارات أيديولوجية واختلافات، ومن تباين في شكلها ومضمونها وخطابها الإعلامي ودرجة تأثيرها في مجريات الأحداث، بل والإسهام كذلك في تقوية إيقاع الحركة الوطنية والرفع من سقف مطالبها. وجريدة "إرادة الشعب" volonté du peuple كواحدة من المنابر الإعلامية الوطنية، ضمن خريطة المكتوب بالفرنسية خلال فترة بداية الثلاثينات من القرن الماضي. كانت لها مكانتها ليس فقط كأداة تواصل مع المجتمع والسلطات الاستعمارية، بل كإسهام في عمليتي التعبئة والتحسيس داخل فاس، وبباقي حواضر البلاد ذات الأهمية زمن الحماية (سلا، تطوان، طنجة، الرباط، البيضاء..). إضافة لأدوارها المؤثرة رغم محدودية فترة صدورها، خاصة على مستوى إذكاء وتقوية الحركة الوطنية من خلال إثارة عناية الإقامة العامة، لأهم مطالب الشعب في الإصلاحات.

بيانات الدراسة:
تاريخ استلام البحث: ١٧ يناير ٢٠١٧
تاريخ قبـول النشـر: ٢٨ أبريل ٢٠١٧

كلمات مفتاحية:
فاس، الصحافة الوطنية المغربية، الاستعمار الفرنسي، جريدة إرادة الشعب، العمل الصحفي

معرّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0053275

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
عبد السلام انويكَة. "الحركة الوطنية في فاس على عهد الحماية من خلال جريدة La Volonté Du Peuple"-. دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد الواحد والأربعون؛ سبتمبر ٢٠١٨. ص١١٨ – ١٢٥.

مُقَدِّمَةٌ

اتسع وعاء الأبحاث والدراسات التاريخية خلال العقدين الأخيرين، وبخاصة تلك التي توجهت لقضايا الحركة الوطنية والمقاومة المسلحة المغربية للاستعمار. ليس فقط من حيث ما هو نوعي كعمل علمي وحصيلة إشكالات مثارة، بل من حيث ما هو امتداد جغرافي كذلك شمل مناطق من البلاد، هي بموقع ووقائع وإسهام في زمن السنوات الحرجة للحماية الفرنسية بالمغرب، حيث الكفاح السياسي والمسلح من أجل تحقيق الاستقلال. وكان لما عقد من لقاءات وندوات علمية ومطارحات تاريخية، سواء داخل المؤسسات والمراكز والمعاهد العلمية العليا كأنشطة موازية، أو ما نُظم وما يزال في هذا الإطار بعدد من الجهات، تحت إشراف المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، بتنسيق مع فعل المجتمع المدني المهتم بقضايا التاريخ والتراث والذاكرة الوطنية. كل هذا كان بدور هام في التحفيز على الكتابة والبحث والتنقيب والتوثيق، مما أفرز دراسات وأعمال وتراكمات بقيمة مضافة هامة حول قضايا

ووقائع ذات علاقة بعدة مدن وبوادي هذه الفترة. ويظهر أنه رغم تعدد مصادر البحث والوثيقة[١] المعتمدة لدى الباحثين والمؤرخين، من أرشيف وطني وأجنبي ووثائق خاصة وسير ذاتية ومذكرات وغيرها. فإن أرشيف صحافة مرحلة الحماية الفرنسية بالمغرب، لا يزال بموقع والتفاتة متواضعة كمصدر لمعرفة تاريخية. على الرغم مما هو متوفر من ذخيرة هامة في هذا المجال، على شكل جرائد ومجلات ودوريات ونشرات وغيرها.

وقد شَكَلَ العمل الصحفي المكتوب باللغتين العربية والفرنسية على عهد الحماية، رغم ما كان محاطا به من رقابة وتتبع وشروط قانونية مضايقة، في فترة طغى عليها الهاجس الأمني السياسي والعسكري. مرآة عاكسة لمختلف المتغيرات والأحداث، فكان برصد دقيق أحيانًا كثيرة لليومي من الوقائع والتطورات. وإذا كانت صحافة السلطات الفرنسية بالمغرب قد انخرطت في الدعاية السياسية، لإنجاح مشروعها الاستعماري والحفاظ على الوضع القائم من أجل تحقيق استغلال اقتصادي للبلاد وفق ما كان مخططا له. فإن الصحافة المغربية رغم محدودية منابرها، بسبب ما فرضته الإقامة العامة من قيود قانونية وإدارية وسياسية. شكلت أداة عمل لدى النخبة المغربية المثقفة لإبراز مواقفها وردود فعلها تجاه الحماية، ولكيفية تدبير إدارتها للأمور بالمغرب. وقد ارتبطت معظم تجارب العمل الصحفي المكتوب خلال مرحلة الحماية بنشأة الأحزاب السياسية ونشاطها، ومن هنا أهمية ما ارتبط بها من اختيارات أيديولوجية واختلافات، ومن تباين في شكلها ومضمونها وخطابها الإعلامي ودرجة تأثيرها في مجريات الأحداث، بل والإسهام كذلك في تقوية إيقاع الحركة الوطنية والرفع من سقف مطالبها.

وجريدة "إرادة الشعب" volonté du peuple كواحدة من المنابر الإعلامية الوطنية، ضمن خريطة المكتوب بالفرنسية خلال فترة بداية الثلاثينات من القرن الماضي. كانت لها مكانتها ليس فقط كأداة تواصل مع المجتمع والسلطات الاستعمارية، بل كإسهام في عمليتي التعبئة والتحسيس داخل فاس، وبباقي حواضر البلاد ذات الأهمية زمن الحماية (سلا، تطوان، طنجة، الرباط، البيضاء..). إضافة لأدوارها المؤثرة رغم محدودية فترة صدورها، خاصة على مستوى إذكاء وتقوية الحركة الوطنية من خلال إثارة عناية الإقامة العامة، لأهم مطالب الشعب في الإصلاحات. فماذا عن أسس وتحولات العمل الإعلامي المكتوب بفاس على عهد الحماية؟ وماذا عن هذه الجريدة من حيث نشأتها وصدورها وخصوصيتها، ودرجة تأثيرها في الحركة الوطنية المغربية خلال هذه الفترة من زمن الحماية؟

أولاً: أسس وتحولات الصحافة الوطنية المغربية المكتوبة على عهد الحماية

١/١-العمل الصحفي في مواجهة الاستعمار ومكانة النخبة المثقفة بفاس

اعتبرت الأنشطة الصحفية خلال هذه الفترة الدقيقة من تاريخ المغرب، من الأسلحة السلمية السياسية والفكرية التي اعتمدتها النخبة المغربية. بهدف التصدي للمستعمر سواء في الشمال حيث المنطقة الخليفية أو بالجنوب حيث المنطقة السلطانية، والرفع من مستوى وعي الفئة القارئة في المجتمع. رغم كل إجراءات إدارة الحماية مركزيا وجهويا، لتضييق الخناق على الوطنيين المغاربة وإفشال مبادراتهم، للحيلولة دون صدور منشورات لا تساير توجهاتها ومصالحها الاستعمارية.[٢] والمهم خلال هذه الفترة ليست الصحافة المغربية التي وقفت بجانب إدارة الحماية ومشاريعها، مستفيدة في من الدعم المالي والتقني والمعنوي. بل الصحافة المغربية المعارضة لها والتي توزعت على واحد وعشرين جريدة، ثلاثة عشرة منها كان لها ارتباط وثيق بأحزاب سياسية مغربية. فاعتبرت بمثابة لسان ناطق باسم توجهات وأيديولوجية معينة، غير متجاوبة مع الكائن الاستعماري في المغرب، من خلال معارضتها لكل مشاريعه وسبل تدبيره للأمور. مع أهمية الإشارة إلى أن نشأة الصحافة المغربية ارتبطت بتطور نخبة مثقفة حضرية بفاس، وفي بعض مدن المغرب الأخرى كما الحال بالنسبة لسلا، الرباط، وتطوان، ثم طنجة كمدينة كانت بإرث دبلوماسي منذ نهاية القرن التاسع عشر، ومعها الدار البيضاء التي تحولت إلى عاصمة اقتصادية للبلاد على عهد الحماية. وما يثبت حقيقة هذا الارتباط ويبرز قيمة فاس كعمل وسلطة إعلامية معارضة للاستعمار، هو أن ثمانية من مجموع اثنان وعشرون فاعلاً إعلامياً ومدير جريدة، كان مسقط رأسه مدينة فاس، خمسة منهم بمدينة سلا وأربعة بتطوان وثلاثة بالرباط. وحتى من حيث إصدار هذه الجرائد فقد كانت تتركز إما في سلا والرباط أو تطوان، أو بفاس ومراكش بشكل محدود خلال فترة الثلاثينيات.[٣] وفيما يتعلق بالمرجعيات الثقافية والمبادئ الوطنية، التي ميزت النخبة المثقفة المغربية الفاعلة في مجال الإعلام بفاس آنذاك، فإن تكوين هؤلاء عموما كان تكوينا مغربيا أصيلا ارتبط بجامعة القرويين. ومنهم من أتيحت له فرصة تلقي تكوين وتعليم شرقي، في كل من مصر وفلسطين أو بأروبا تحديدا فرنسا. أما ما يتعلق بأفكار ومبادئ هؤلاء، فإلى جانب ما تأثروا به من فكر سلفي وفلسفة نهضة عربية، هناك الأفكار الديمقراطية الأوربية المستقاة من فلسفة الثورة الفرنسية.[٤]

٢/١-الأنشطة الصحفية في مغرب الحماية بفاس، بين السبق والتجارب الحزبية

برز دور الصحافة المغربية الوطنية بفاس، على إثر ما خلفه الظهير البربري والسياسة الاستعمارية، سواء في المنطقة الخليفية بالشمال أو السلطانية بالوسط، من اضطرابات سمحت بتعبير الشعب عن مدى سخطه وتدمره من الوضع العام القائم. وكان ما حصل من رد فعل، قد تميز بطابع عفوي وتلقائي وشعبي وبنوع من التأطير التقليدي من خلال المساجد ودور الفقهاء والعلماء. كلها شروط داخلية ساهمت بنصيبها في تنظيم الحركة الوطنية، وظهور أول حزب سياسي مغربي هو كتلة العمل الوطني بفاس. وكانت شخصية شكيب أرسلان[٥] بدور وتأثير كبيرين على النخبة المثقفة المغربية، من حيث إقناعها بقيمة عمل الصحافة المكتوبة والجرائد، في دعم الحركة الوطنية وتثبيتها من جهة وإذكاء روح الكفاح ضد المستعمر من جهة أخرى، إضافة لتعبئة وتوحيد الرؤية من أجل التأثير على الإقامة العامة بالمغرب وسياستها الاستعمارية الموجهة للداخل.

وكانت لأهم زعماء الحركة الوطنية المغربية بفاس، كأحمد بلافريج ومحمد حسن الوزاني ومحمد اليزيدي..، اتصالات بهذا الزعيم العربي الذي أشار لهم بأهمية التفكير في إنشاء مجلة موجهة للمغرب انطلاقا من باريس (مجلة المغرب). وهذا المقترح الذي تحقق سنة ١٩٣٢ تمكن من خلاله هؤلاء من اكتساب تجارب هامة، في مجال الكتابة والعمل الصحفي وكيفية التعبير عن المطالب الوطنية.[٦] ويمكن توزيع تطور الصحافة المغربية عموما وبفاس تحديدا على عهد الحماية، ومعها الشروط الداخلية والدولية التي تحكمت فيها إلى مرحلتين أساسيتين: الأولى منها ما بين ١٩٣٣-١٩٣٤ وقد نهجت خلالها سلطات الحماية، استراتيجية محاربة العمل الإعلامي وتضييق الخناق على العمل السياسي الوطني. وعليه، فقد ظهرت منابر مكتوبة بمعالم وأنشطة ومرجعيات أكثر وضوحا بالنسبة للأجهزة الأمنية الاستعمارية. كما أنه خلال هذه المرحلة من تاريخ المغرب السياسي، عرف حزب كتلة العمل الوطني انشقاقا ترتب عنه ظهور حزب الوحدة المغربية (المكي الناصري)، وحزب الإصلاح الوطني (عبد الخالق الطريس)، والحزب الوطني لتحقيق المطالب (علال الفاسي)، ثم الحركة القومية (محمد حسن الوزاني).

ومع هذه التجارب والأحزاب السياسية ظهرت منابر صحفية جديدة، منها" l'action du peuple " و"الدفاع" التابعتين لحزب الحركة القومية والصادرتين بفاس. ثم جريدتي " l'action populaire" و"الأطلس" التابعتين لحزب الحركة الوطنية لتحقيق المطالب والصادرتين بالرباط، ثم جريدة "الحرية" التابعة لحزب الإصلاح الوطني بتطوان، ثم جريدة "الوحدة المغربية" التابعة لحزب الوحدة المغربية، الصادرة بتطوان. وضمن هذه التجارب الصحفية التي ارتبطت بأحزاب وطنية، صدرت آنذاك صحف اعتُبرت مستقلة عن الانتماء السياسي ظاهريا فقط، كجريدة "المغرب" و"التقدم" التي كانت تميل لحزب علال الفاسي وكانتا تصدران من مدينة سلا، ثم جريدة "الريف" التي كان لها ميول لحزب عبد الخالق الطريس وكانت تصدر من تطوان.[٧] وفي المنطقة الفرنسية بفاس تحديدا صدرت l'action du peuple أول جريدة مغربية وطنية باللغة الفرنسية عام ١٩٣٣ ترأس تحريرها محمد حسن الوزاني، وكان ذلك مقصودا لكونها كانت تستهدف إطلاع الرأي العام الفرنسي على ممارسات سلطات الحماية بالمغرب.[٨]

ووعيًا من الوطنيين المغاربة بأهمية العمل الصحفي، في التعبئة وتوحيد الصفوف وكشف خروقات الإدارة الاستعمارية بالمغرب. تم خلال صيف ١٩٣٣ في ظروف كانت فيها الحريات معطلة والتجمعات السياسية ممنوعة، عقد لقاء سري بسلا جمع عددا من الوطنيين عن مدن فاس والرباط وسلا. احتفالا بمرور سنة عن صدور مجلة "مغرب" التي كانت تصدر من باريز، وهي مناسبة تم فيها الإعلان عن سماح السلطات الفرنسية بصدور أول جريدة مغربية ناطقة بالفرنسية بفاس، وهي جريدة "عمل الشعب" التي أشرف عليها محمد حسن الوزاني.[٩] ومقابل ما تعرضت له الجريدة من تضييق ومحاربة بكل الوسائل من طرف غلاة الرجعية الفرنسية، كان الوطنيون المغاربة بجانبها بدون استثناء معززين مناصرين. ومن محرريها الأساسين كان هناك محمد اليزيدي ومحمد الخلطي والصديق عواد، ثم عبد اللطيف الصبيحي وعمر بن عبد الجليل ومحمد حسن الوزاني.[١٠]

أما الفترة الثانية ما بين ١٩٤٢-١٩٥٦ والتي كانت فترة متميزة من تاريخ المغرب والعالم، كعلاقات ومتغيرات دبلوماسية طبعتها أحداث وتطورات ذات علاقة بالوضعية في المغرب. منها تزايد دعم كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي لحق الشعوب في تقرير المصير، وأهمية الميثاق الأطلسي وآثاره كرؤية سياسية جديدة تجاه الشعوب (١٩٤١). وإضافة للإنزال الأمريكي على السواحل المغربية وحصيلة ما جمع بين الرئيس روزفيلت والسلطان المغربي من تواصل وتبادل للرأي، هناك دور منظمات دولية جديدة داعمة لحركات التحرر الوطني، منها منظمة الأمم المتحدة والجامعة العربية. وبالمغرب على المستوى الداخلي برزت وظيفة وأدوار فئتين اجتماعيتين، طبقة عاملة بأنشطة نقابية محدودة ثم طبقة برجوازية حضرية عبرت عن مواقفها من مضايقات الاستعمار لمصالحها. كما أن حزب الاستقلال الذي ظهر عام ١٩٤٤، أصدر بيانا تاريخيا تضمن حق المغرب في الاستقلال والحرية. وعلى إثر مرونة

أبداها المقيم العام الفرنسي "إيريك لابون" تجاه الوطنيين المغاربة، صدرت جريدة العلم الناطقة بلسان حزب الاستقلال عام ١٩٤٦، ثم جريدة "الرأي العام" الناطقة بلسان حزب الشورى والاستقلال عام ١٩٤٧.(١١)

ثانيًا: جريدة إرادة الشعب نشأتها، خصوصيتها، حمولتها وتأثير في الحركة الوطنية بفاس

١/٢-من جريدة "عمل الشعب" إلى جريدة "إرادة الشعب" مؤقتا

على إثر الانشقاق الذي حصل في كتلة العمل الوطني، أمر المقيم العام الفرنسي "نوكيس" بحله. وعليه، انقسم الحزب إلى تجربتين سياسيتين بظهور الحركة القومية التي تزعمها محمد حسن الوزاني،(١٢) والحزب الوطني الذي تزعمه علال الفاسي في المنطقة السلطانية. وبما أن القراءة والكتابة خلال هذه الفترة بفاس، اقتصرت على نخبة فاسية مثقفة تكونت من طلبة ومدرسين..، فقد كانت هذه الأخيرة في حاجة لمنبر إعلامي قادر على إبلاغ صوتها ومواقفها. ورغم أن القوانين والإجراءات التنظيمية التي كانت معتمدة زمن الحماية الأجنبية على البلاد، كانت ضد إرادة الشعب ومجموع هذه التجارب السياسية الحزبية الأولى. فقد تم التحايل على القانون لإصدار مجلة "المغرب" Maghreb في باريس تحت إدارة الفرنسي لونقي روبير،(١٣) وتم إصدار جريدة أسبوعية ناطقة بالفرنسية بفاس. وسواء هذه المنابر الصحفية أو التي جاءت فيما بعد، فقد كان انشغالها الأساسي ثلاثة قضايا كبرى هي: مسألة الحماية ومفهومها من وجهة نظر الوطنيين الصحفيين المغاربة، ثم القراءة النقدية لنظام الحماية باللغة الفرنسية، واختيار هذه اللغة لأن الكتابة بالفرنسية كانت تقابل بليونة قانونية أكثر من الصحافة والكتابة باللغة العربية، وثالثا الدفاع عن الهوية المغربية والقومية العربية والتراث الإسلامي في الصحافة الناطقة باللغة العربية.(١٤)

وحول التجارب الصحفية التي انتهت بتجربة جريدة "إرادة الشعب" la volonté du peuple، من المهم الإشارة لما كان يرتبط بمجلة "المغرب" (باريس) التي قال عنها محمد حسن الوزاني: " لم تكن تلبي كل حاجيات الحركة الوطنية في النشر، كانت تصدر مرة في الشهر محدودة الأمد والنطاق ..قليلة الرواج.. عدم معرفة أكثرية المغاربة للفرنسية.. وقد كنت شاعرًا بهذا النقص وبالحاجة إلى تزويد الحركة الفتية، بلسان ناطق في الداخل وفي فاس بالذات".(١٥) وهكذا ففي غشت ١٩٣٣ أصدر هذا الأخير العدد الأول من منبر صحفي جديد، اختار له "عمل الشعب" action du peuple عنوانا. وهو ما اعتبره نقلة نوعية في الحركة الوطنية المغربية، التي انتقلت في أسلوب عملها من الاحتجاج واللطيف، إلى معارضة أكثر تنظيمًا ووضوحًا في مطالبها السياسية. مضيفا أن ما حصل من تحول في هذا الإطار قادته نخبة من ذوي الرأي وحملة القلم ومن دعاة التجديد في العمل الوطني (حزب القلم).(١٦)

وإذا كانت جريدة "عمل الشعب" قد صدرت بأول عدد لها في غشت ١٩٣٣، لتُمنع من الصدور في دجنبر من نفس السنة بعدما صدر منها ١٨عددا.(١٧) فإن ذلك جاء بهدف إرضاء اللوبي الاستعماري من جهة، وإسكات صوت مزعج كان يصدع بالحق ويطالب بتوجيه الاهتمام والاعتبار لقضايا واحتياجات المغاربة، في مجال التعليم والصحة والشغل والأرض والفلاحة والفلاحين في البوادي المغربية من جهة ثانية.(١٨) وكان من أسباب منع جريدة عمل الشعب قبل أن تصدر من جديد تحت عنوان la volonté du peuple، كونها طالبت بالمساواة بين الفرنسيين والمغاربة على عدة مستويات.(١٩)

وفي تعليله لهذا المنع أورد محمد حسن الوزاني في مذكراته، أن المسؤول عن اصدار الجريدة كان فرنسيا بحكم القانون وهو "جورج هرتز". وبما أنه كان يُسمح له بالكتابة في الجريدة وإثر محاولة تدخل منه في أمور لا تعنيه، حدث خلاف والجريدة جاهزة للصدور، وذلك بعد ثلاثة أشهر ونصف من عمر هذه التجربة الاعلامية المكتوبة. مضيفا أنه حتى لا يتأخر العدد الجديد عن القراء والوطنيين بفاس، أقدم على تعويضه بمسؤول جديد مؤقت كان هو رئيس تحرير جريدة La dépêche de fés"موريس دوليطوال"، ولما صدر العدد رفع"هرتز" كمسؤول أول عليها شكوى لوكيل الدولة. وعليه، والي حين صدور الحكم صدرت الجريدة "عمل الشعب"، بعنوان مؤقت جديد هو جريدة "إرادة الشعب".(٢٠)

٢/٢-شكل الجريدة ومضمونها وردود فعل المعمرين والإقامة تجاهها

لقد جاءت جريدة la volonté du peuple في ظروف استثنائية، ضمن قناعة أهمية الحفاظ على خط إعلامي مكتوب ووطني فرض نفسه بفاس. تعود عليه القراء من أجل تواصلهم ليس فقط من خلال إبلاغ صوتهم تجاه الإدارة الاستعمارية، بل مع باقي مكونات الشعب المغربي خاصة بالمدن. وكان العدد الأول من الجريدة قد صدر في ٨ دجنبر ١٩٣٣، لتستمر في صدورها إلى غاية ٩ مارس ١٩٣٤، حيث كان قد صدر منها ١٤ عددا قبل أن تتوقف.(٢١) وجريدة "إرادة الشعب" كانت أسبوعية ناطقة بالفرنسية يديرها محمد حسن الوزاني، تصدر كل يوم جمعة من فاس بثمن هو ٥٠ سنتيم، شكلها وقياسها كان هو

٦٠ سنتيم على ٤٠ سنتيم. وتتكون من أربع صفحات بها ستة أعمدة، وتطبع في مطابع النشر الدولية التي كانت توجد في مدينتي فاس وطنجة. أما عنوان الجريدة فقد كان باللون الأسود على طول أعلى الصفحة الأولى، مع إشارة إلى أن الصور بها كانت نادرة جدا.(٢٢)

وجريدة "إرادة الشعب" لم تكن سوى جريدة "عمل الشعب" مؤقتا فقط باسم جديد، وعليه، فهي لم تكن تتوفر على هيئة تحرير جديدة. مضامينها ظلت مهتمة أساسا بقضايا الشعب والأمة، وفي مقدمتها السياسة العامة والتعليم والعدل والإدارة والفلاحة، وشؤون الشباب والسياسة البربرية والقضية الفلسطينية والعلاقات اليهودية في المغرب، والشكايات والمظالم والرد على الصحافة الاستعمارية ومواجهة وكشف أنشطة التبشير المسيحية.(٢٣) وقد صادف العدد الأول من جريدة "إرادة الشعب" حركة احتجاج قوية لمعمرين فرنسيين، احتجوا على الحكومة الفرنسية والإقامة العامة بالرباط، بدعوى أنهم أفلسوا في أعمالهم الاقتصادية وأنشطتهم الفلاحية، وقد اختلقوا بعض المناورات لتحقيق أهدافهم ومنها حلق قمة الرأس. وكانت جريدة "إرادة الشعب" في الواجهة من حيث كشفها لأطماع هؤلاء في الثروة، على حساب الفلاحة والفلاحين المغاربة في البوادي. وكادت الوضعية أن تتطور إلى صراع دموي، وهو ما دفع السلطات الفرنسية لنزع مئات الآلاف من الهكتارات من الأراضي الخصبة المغربية في جل أنحاء البلاد، وذلك لإرضاء هؤلاء المعمرين المحتجين، وهو ما عملت جريدة la volonté du peuple على فضحه في وقته.(٢٤) ففي عددها التاسع (٢١ فبراير ١٩٣٤) وبعنوان كبير على عرض صفحتها الأولى، تم طرح وإثارة هذا الإشكال بهذه الجملة: الاستعمار المصان la colonisation entretenue . وفي افتتاحية نفس العدد اختير العنوان التالي la révolte des Ali baba (ثورة أبناء علي بابا)، في إشارة إلى القصة العربية على بابا والأربعون لصا، هذا إلى جانب إحصاءات ومقارنات في وسط الصفحة الأولى.(٢٥) بالإضافة إلى مقالات كثيرًا ما كانت تكتب من قبل مساهمين، أمثال محمد اليزيدي ومحمد بردلة وعبد القادر بن عمر برادة وعبد اللطيف صبيحي والمهدي المنيعي وعبد القادر بن جلون...،(٢٦)

وقد اعتبر محمد حسن الوزاني العدد التاسع من جريدة "إرادة الشعب"، قنبلة صحفية من عيار كبير بطرحه فيه لملف الأراضي بالبوادي المغربية، وللاستغلال الاستعماري وأطماع المعمرين وإفقارهم للشعب المغربي. وفي العدد ١٢ و١٣ من الجريدة الصادر في ٢ مارس ١٩٣٤، تواصلت جهود فضح المعمرين الفرنسيين والسياسة الفرنسية بالمغرب، بحيث شمل هذا العدد بيانا للأملاك العقارية التي تم نزعها لفائدة الاستعمار الرسمي، مع إحصاءات رسمية لجميع عمليات نزع الملكية نقلا عن الجريدة الرسمية، بكل التفاصيل منذ سنة ١٩٢٧ وإلى غاية سنة ١٩٣١.(٢٧)

وكان المعمرون الفرنسيون بالمغرب ما بين ١٩٣٣-١٩٤٢، وجهة لعمل وتتبع الصحافة المغربية بهدف حماية العمال والحرفيين. وكان موضوع الفلاحة مسألة أساسية في عيون محرري الجرائد، كما حصل على صفحات جريدة إرادة الشعب.(٢٨) وفيما يتعلق بقطاع التعليم ضمن اهتمامات الجريدة، ففي صفحتها الأولى من عددها السابع (١٩ يناير ١٩٣٤)، تم نشر ميزانية التعليم في الفترة ما بين ١٩٢٩-١٩٣٣، بحيث تم إبراز عدم تكافؤ الفرص والتساوي بين التعليم الموجه للأوربيين ولليهود المغاربة ثم للمسلمين.(٢٩) ومن جملة القضايا الوطنية الهامة التي توجهت إليها صحيفة إرادة الشعب، مسألة اليهود المغاربة على عهد الحماية، من حيث وضعهم الاجتماعي، كذا الهجرة وجميع ما تعلق بعملية التوافق الإسلامي اليهودي. فعلى صفحات الجريدة كان محمد حسن الوزاني، يشارك بمقالات وافتتاحيات في هذا الاطار.(٣٠) وفيما يتعلق بردود فعل المعمرين والإقامة العامة على ما كان ينشر على صفحات الجريدة، فعلى إثر نشرها لبرقيات احتجاج من طرف المغاربة في العدد ١١، ردًا على احتجاجات المعمرين المنظمة بالرباط وعقدهم لمؤتمر بها. عم غضب شديد لديهم حيث تقدموا بملتمس للإقامة العامة، من أجل منع الجريدة من الصدور بشكل فوري مع تغريم ومعاقبة الساهرين عليها. ونشر هذا الملتمس في كل الصحف الفرنسية،(٣١) يعني مستوى التأثير ودرجة النفوذ الإعلامي الذي كان يميز الإعلام المكتوب بالمغرب على عهد الحماية، كما هو الحال بالنسبة لجريدة "إرادة الشعب" بفاس كحركة وطنية.

٣/٢-مكانة جريدة "إرادة الشعب" في مجتمع فاس ودورها في الحركة الوطنية المغربية

جاءت جريدة "إرادة الشعب" كبديل مؤقت، لتجاوز فراغ يمكن أن يحدث بعدما صدر قرار إيقاف جريدة "عمل الشعب"، وعليه، فرغم هذه الشروط القانونية والتعثرات كان هناك إلحاح على استمرار العمل الإعلامي المكتوب في تأدية مهامه. من أجل إبلاغ صوته وإسهامه في تعبئة المجتمع المغربي عامة وفي فاس بكيفية خاصة. ودليل عمق ارتباط ساكنة فاس بهذا المنبر الصحفي، وعي المجتمع الفاسي في هذه الظرفية الحساسة من تاريخ الحركة الوطنية المغربية. هو أنه عندما تقدم المعمرون بملتمس لإيقاف الجريدة وتغريم الساهرين عليها، كان رد فعلهم المباشر هو الاحتجاجات وتوجيه برقيات إلى السلطان والمقيم العام الفرنسي بالمغرب، ومن هنا يظهر أن الجريدة كانت بصدى قوي في فترات حاسمة رغم قصر مدة صدورها، بدليل ما أورده

محمد حسن الوزاني حيث قال: "لما صدر ملتمس مؤتمر المعمرين المطالب بمنع الجريدة أحدث هزة في الأوساط المغربية، حتى خشيت الإقامة أن يؤدي هذا إلى انفجار عام. فاستدعاني رئيس المصالح البلدية بفاس بأمر من المقيم العام، ولما تقابلت معه أبلغني أنه جاء في مهمة...وهي أن يؤكد لي عزم الإقامة العامة على الثبات في موقفها من حركة المعمرين، بحيث لا تلبي لهم أي مطلب لأنها تعتقد أنهم لا يستحقون ما يطلبون، خصوصا والميزانية لا تتحمل الإرهاق بأية تضحية. ثم بعد هذا طلب مني أن أعمل لترضية المقيم العام بكل ما في الإمكان من الاعتدال، في لهجة الجريدة بالنسبة لحركة المعمرين.[٣٢] وفي ظل المتغيرات الداخلية والأزمة التي شملت المعمرين الفرنسيين حول الأراضي، على حساب الشعب المغربي والفلاحين بالبوادي. وعلى إثر هذا اللقاء تأكيدًا منها على حسن النية، توقفت الجريدة عن صدورها لأسبوعين إسهاما منها في تهدئة الأوضاع.[٣٣]

وما يثبت مكانة الجريدة في تأطير الشعب عموما والمجتمع الفاسي خاصة، والتحفيز على النضال الوطني والكفاح. هو أنه عندما تم تهديد صاحب الجريدة "محمد حسن الوزاني" بالقتل، وجه سكان مدينة فاس برقية للمقيم العام ورد ت في العدد ١١ (١٦-٠٢-١٩٣٤) وجاء فيها. "نظرا لملتمسات مؤتمر المعمرين الخاصة بمنع "إرادة الشعب" بدافع من الهوى الجامح، وأمام الاستفزازات الصادرة من المعمرين والموجهة ضد محمد حسن الوزاني، الذي أصبح عرضة تهديدات صريحة. نعبر لسعادتكم عن أشد سخطنا واستنكارنا ملتمسين اتخاذ التدابير المجدية، لحماية النظام العام ومنح الحماية الواجبة للوزاني الذي نحن على استعداد للتضحية في سبيله."[٣٤] وقد جاءت الرسالة مديلة بتوقيعات بلغ عددها مائة وتسعة عشرة توقيع عن أهم الشخصيات الفاسية.

وعلى المستوى الداخلي في مغرب زمن الحماية الفرنسية، في علاقة هذه البرقية الموجهة للإقامة العامة بالحركة الوطنية والتعبئة. يظهر أن العمل الإعلامي المكتوب (la volonté du peuple نموذجا)، تمكن من تحقيق تأثير ونجاح كبير لدرجة أنه شكل واجهة وطنية، توحدت فيها كل الحساسيات السياسية المطالبة بتحقيق الإصلاحات. وكان السلطان محمد بن يوسف رمزا لهذه الوحدة، من خلال ما كانت تنشر سواء جريدة عمل الشعب أو جريدة إرادة الشعب فيما بعد، وما كانت تقترحه كما الحال بالنسبة لتنظيم عيد العرش.[٣٥] ومما يسجل كون جريدة "إرادة الشعب"، كانت بدور وتأثير واسع في الارتقاء بأداء الحركة الوطنية المغربية بفاس، بإخراجها من أسلوبها الأول حيث الاحتجاجات المألوفة السلبية، إلى طور جديد تحكمت فيه الفعالية والأهداف الحقة الوطنية المنشودة. كما أبانت الجريدة عن نخبة مغربية فاسية بدرجة عالية من المصداقية والقوة الاقتراحية والنضال، فكانت الأقلام الفاسية (الصحفيين) مؤطرة للعمل الوطني، مضايقة للأنشطة الاستعمارية وتجاوزاتها على حساب المغاربة في المدن والبوادي.[٣٦] وللإشارة فبعد إنصاف جريدة "عمل الشعب" وانتصارها على المعمرين، وضدا على المحكمة الابتدائية بفاس، صدرت من جديد بتاريخ ١٦ مارس ١٩٣٤، بعنوان كبير بالفرنسية، وتحته عنوان صغير بين قوسين فيه(et la volonté du peuple. إلا أنه على إثر أحداث فاس بمناسبة الرحلة السلطانية، مُنعت من جديد بقرار من قائد جيوش الاحتلال بالمغرب في ١٤ ماي ١٩٣٤.[٣٧] بل هناك من تحدث على أن قرار إيقاف الجريدة من جديد هو بسبب ما اعتُبر وقاحة فاسية، أولاً إثر مظاهرات واحتجاجات نُظمت من أجل إقامة عيد العرش، وثانيًا ضد قرار اتخذ حول إلحاق المغرب بوزارة المستعمرات الفرنسية.[٣٨]

خَاتِمَةٌ

ارتبطت صحافة المغرب المكتوبة عموما بمرحلة الحماية الأجنبية على البلاد وبفاس تحديدا، فقد ظهرت مع بداية ثلاثينات القرن الماضي (١٩٣٣) من خلال منابر متعددة كان هدفها الأساسي في البداية هو الإصلاح وفضح الأنشطة الاستعمارية وتجاوزاتها. وقد تطورت صحافة فاس المكتوبة (الجرائد) واتسعت مع نشأة التجارب السياسية الحزبية الأولى، فكان العمل الإعلامي رغم كل المضايقات القانونية لسلطات الحماية. رافعة للمقاومة المغربية السياسية/ الحركة الوطنية، ونقلة نوعية في تاريخها وأسلوبها. وصحافة فاس المكتوبة من خلال تجربة "إرادة الشعب"، كانت لها منطلقات وأسس وتحولات مستفيدة من نخبة مثقفة فاسية. وعليه، كانت المدينة سباقة لطرح قضايا عدة أحرجت بها الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب. وجريدة la volonté du peuple كانت منبرًا وطنيًا مكتوبًا باللغة الفرنسية، بحصيلة معبرة من حيث تأثيرها في الرأي العام المحلي بفاس والمغرب، وفي الرأي العام الفرنسي داخل البلاد وخارجها، رغم ضيق المدة الزمنية التي صدرت فيها والتي لم تتجاوز الثلاثة أشهر.

وفيما يتعلق بالخطاب السياسي الوطني للجريدة، فقد كان يظهر جليا في المقالات المنشورة والافتتاحيات والأخبار والتحليل، ثم فيما كان يُطرح من قضايا ذات علاقة بفاس والمغرب والمغاربة عمومًا خلال هذه الفترة الدقيقة من زمن الحماية. كما أن الجريدة كانت بأثر معبر في التحسيس والتوعية والتحدي، وفي فضح تجاوزات المعمرين وإدارة الإقامة العامة. وما كان ينشر على صفحاتها شكل واجهة لحركة وطنية سياسية، أبانت عن عدم رضى أهالي فاس بما كان يقوم به الاستعمار من

أنشطة، وما كان عليه من أساليب تهميش ولا تكافؤ الفرص ومن عدم التزام بتطبيق ما نصت عليه معاهدة الحماية ١٩١٢.

الهَوامِشُ:

(١) حول التاريخ الجديد يرى جاك لوغوف الفرنسي حول التاريخ، أهمية توسيع حقل الوثيقة التاريخية وتجاوز رؤية وكتابات langlois ومعه seignobos التي تقوم أساسًا على النص المكتوب. وانفتاح التاريخ الجديد على وثائق مكتوبة بجميع أجناسها، إلى جانب الوثائق التصويرية ونتائج البحوث الأثرية والروايات الشفوية. في هذا الإطار يمكن الرجوع ل: جاك لوغوف (الاشراف)، **التاريخ الجديد**، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، المنظمة العربية للترجمة، طبعة أولى، بيروت، لبنان، ٢٠٠٧.

(٢) العلوي محمد الفلاح، **الصحافة والدوريات المغربية في عهد الحماية، موسوعة الحركة الوطنية والمقاومة وجيش التحرير**، الجزء الأول، المجلد الثاني، منشورات المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، منشورات عكاظ، الرباط، ٢٠٠٥، ص ٣٩٤.

(٣) أوشار أمينة، **"الصحافة المغربية المعارضة للحماية ١٩٣٣-١٩٥٦"**، مجلة البحث العلمي، عدد ٣٢، إصدارات المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨١، ص ٧٦.

(٤) نفسه، ص ٧٧.

(٥) أتقن شكيب أرسلان حبك خيوط قضية الظهير البربري بإعطائها أبعادًا شرقية، فقد نصح المسلمين في العالم كله بعدم اقتصارهم على توجيه رسائلهم الاحتجاجية للجرائد والمجلات، بل كذلك إلى عصبة الأمم والدول الكبرى وحكومة فرنسا نفسها وبرلمانها ومجلس شيوخها. مؤكدا على أن المقاطعة هي أحد الأسلحة التي يخشاها الأوروبيون أكثر من غيرها، وهو ما شكل دعما كبيرا منه للوطنيين بالمغرب ولنشأة الحركة الوطنية. لمزيد من المعطيات يمكن الرجوع لشارل اندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٦. والأمير شكيب أرسلان (جهد القلم) انخرط في حركة الظهير البربري من خلال نداءه للعالم الإسلامي إثر تدخلات طلبة المغرب بباريس الذين زاروه في سويسرا. بحيث غادر لوزان في ١٨ يونيو ١٩٣٠ ليلتقي بأحمد بلا فريج ومحمد الفاسي في باريس. هذا قبل أن ينتقل إلى طنجة ثم تطوان ويقيم عند أحد أصدقاءه، وهو الحاج عبد السلام بنونة الذي كان ينعت بأب الوطنية المغربية. بحيث قدم محاضرات حول الأندلس العربية الإسلامية، وأعلن عن معارضة قوية ضد فرنسا بالمغرب. بهذا الخصوص يمكن مراجعة.

Charles Robert Ageron, Politique Berbere du Protectorat Marocain, Revue d'histoire Moderne et Contemporante, Armond Colin, Tome, 18 janvier - mars 1971.

(٦) أوشار أمينة، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٧) أوشار أمينة، مرجع سابق، ص: ٧٨.

(٨) بنونة المهدي، **المغرب السنوات الحرجة، الشركة السعودية للأبحاث والتسويق**، طبعة أولى، ١٩٨٩، ص٥٣.

(٩) امعينينو أحمد الحاج، **ذكرات ومذكرات، الجزء الثاني ١٩٣٢-١٩٣٧**، مطبعة سبارتل، ص ٦٤.

(١٠) القادري أبو بكر، **مذكراتي في الحركة الوطنية ١٩٣٠-١٩٤٠**، الجزء الأول، طبعة أولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٢، ص ١٥٣-١٥٤.

(١١) أوشار أمينة، مرجع سابق، ص ٧٩.

(١٢) ولد بفاس وتوفي بها (١٩١٠-١٩٧٨) وهو شخصية سياسية وصحفية ارتبطت بمغرب الحماية الفرنسية، عانى الكثير سواء خلال هذه الفترة الدقيقة من تاريخ البلاد أو بعد حصولها على الاستقلال. بشهادة عدد من السياسيين المغاربة، كان من المؤسسين للحركة الوطنية من أجل الاستقلال، بل هناك من تحدث عنه كمرجعية وكنموذج في الحركة الوطنية المغربية، وكان محمد حسن الوزاني أول مغربي تخرج من المدرسة الحرة للعلوم السياسية بباريس، وكان له تكوينا صحفيا كذلك. وللإشارة فمع بداية ثلاثينات القرن الماضي لعبت الصحافة الوطنية المغربية، دورا هاما في تاريخ البلاد السياسي. من خلال معركة القلم ضد إدارة الحماية بالمغرب، وبواسطة عدد من الشباب الصحفي المغربي الذين تحولوا إلى قاعدة للحركة الوطنية.

(١٣) روبير جان لونجي هو محام شاب، ابن أحد المناضلين الاشتراكيين المهتمين بالقضايا الاستعمارية. وكان الطلبة الشباب المغاربة قد اتصلوا به وبالأوساط اليسارية في فرنسا، وعهدوا له بإدارة مجلة المغرب الصادرة باللغة الفرنسية ابتداء من ١٩٣٢. وكان يكتب في هذه المجلة بالخصوص محمد حسن الوزاني ومحمد اليزيدي وعبد الحق وعيد الكريم بن جلون. وقد نجحت المجلة كأداة كفاح في التشهير بالاستغلال الاستعماري الذي كان يعاني منه المغرب والمغاربة، وفي المطالبة بإلغاء نظام مشوه لروح الحماية.

(١٤) أوشار أمينة، مرجع سابق، ص٨٠.

(١٥) الوزاني محمد حسن، **مذكرات حياة وجهاد، ٣-مرحلة الانطلاق والكفاح ١٩٣٠-١٩٣٤**، منشورات مؤسسة محمد حسن الوزاني، طبعة أولى، ١٩٨٤، ص ٣٤٦.

(١٦) نفسه، ص، ٣٥٦.

(١٧) ظريف محمد، **الأحزاب السياسية المغربية ١٩٣٤-١٩٧٥**، منشورات المجلة المغربة لعلم الاجتماع السياسي، توزيع مكتبة الأمة، الدار البيضاء، ١٩٩٣، ص ٣١.

(١٨) العلوي زين العابدين، **المغرب من عهد الحسن الأول إلى عهد الحسن الثاني**، الجزء ٣، المغرب في عهد السلطان محمد بن يوسف

١٩٢٧-١٩٥٦، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط ٢٠٠٩، ص ١٥١.

(19) David Benssousan, il Etait Une Fois le Maroc, les Editions du lys, Edition 2, Anneé 2012, p361.

(٢٠) الوزاني محمد حسن، مرجع سابق، ص ٣٦١.

(٢١) ظريف محمد، مرجع سابق، ص ٣١.

(22) Aouchar Amina, ibid. p130.

(٢٣) الوزاني محمد حسن، مرجع سابق، ص ٣٩٢.

(٢٤) نفسه، ص٤٠٧.

(٢٥) نفسه، ص ٤١٣.

(٢٦) نفسه، ص٣٩١.

(٢٧) نفسه، ص٤٣١-٤٣٢.

(28) Aouchar Amina, ibid. p٣٩

(29) Aouchar Amina, ibid. p٥١

(٣٠) كنبيب محمد، **يهود المغرب ١٩١٢-١٩٤٨**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، طبعة أولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٦ ص ٢٦٦.

(٣١) الوزاني محمد حسن، مرجع سابق، ص ٤١٥-٤١٦.

(٣٢) نفسه، ص٤١٦-٤١٧.

(٣٣) نفسه، ص ٤١٨.

(٣٤) نفسه، ص٤٢٤-٤٢٥.

(35) Baida Jamaa, La Presse Marocaine D'expression, Française des Origines à 1956, Pub, fac, Lettres et Sciences Humaines ,Rabat, Imprimerie Najah el Jadida, Casablanca, 1ere Edition, 1996, p 208.

(٣٦) الوزاني محمد حسن، مرجع سابق، ص ٣٩٢.

(٣٧) نفسه، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٣٨) عياش ألبير، **المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية**، منشورات دار الخطابي للطباعة والنشر، مطبعة إتفاق بوبكري، الدار البيضاء، طبعة أولى، ١٩٨٥، ص٣٩١.